مصرع السبط

او

بيانه الحقيقة بعد فوات الاوان

بقلم : الاستاذ الكبير سليمان الصفواني
صاحب اليقظة الغراء
وعضو اللجنة العليا لحزب الاستقلال

رافقت مأساة الطف فكرة خاطئة . وقد ساير هذا الخطأ الفكري ادوار هذه المأساة ولم ينج من ذلك كثير من المؤرخين والكتاب حديثا .

فمن الثابت ان العراقيين قد كتبوا الى الامام الحسين «ع» طالبين اليه القدوم عليهم ، اذ لا يرون اماما لهم غيره . وقد خرج الامام من الحجاز الى العراق ملبيا الدعوة . وكادت تنقطع اخباره في طريقه الى الكوفة . ويروى التاريخ انه لم يلتق به احد في الطريق الا افراد قلائل خافوا ان يعودوا الى حواضرهم او يذكروا شيئاً عن ملاقاتهم للامام لئلا يتهموا من قبل اعدائه .

وفي الوقت الذي انقطعت فيه اخبار الأمام وهو في الطريق قام الولاة والعمال بدعاية واسعة النطاق في طول البلاد وعرضها مفادها : ان خارجيا خرج على الامير ، فمن هو هذا الخارجي ؟ ومن اين ؟

الحقيقة ان اكثر الناس لم يعرفوا حقيقة هذا الأمر واستقبلوه خالي الذهن في ان الذي دعوا الى قتاله لم يكن الا خارجيا كما أذيع فيهم . على ان اكثر الذين كتبوا الى الحسين كسليمان بن صرد الخزاعي واضرابه قد حبسوا و شددت الرقابة عليهم ومنعوا من اي اتصال بالحسين . ولم يكن وصول الاخبار بالأمر السهل ليعرف الناس ما يجري حولهم او بعيداً عنهم

وفي هذا الجو من الارهاب الخانق وصل الامام الحسين الى كربلا وتألب الاعداء على « الخارجي » ولم يطلع على الحقيقة في بادئ الأمر الا قلائل من امراء الجيش او من زعماء الكوفة ممن كانت اهواؤهم يزيدية .

وقد فطن الامام الحسين «ع» واصحابه الى ما احيط بهم من دعاية مكذوبة اظهرتهم للناس بمظهر الخوارج فحاولوا جميعهم ان يفندوا تلك الدعاية بخطبهم في القوم في ان الذي جاؤا لمحاربته وقتله ليس الا ابن بنت رسول الله وريحانته ، وحتى الحسين نفسه وقف بين الصفين خطيبا قائلا : انسبوني من انا ... وقد احدث ذلك لغطا شديدا في معسكر ابن سعد كاد ينقلب الى فتنة لولا ان تدارك القادة بالسرعة في تنفيذ المؤامرة والهجوم على الحسين .

قتل الحسين ، وسبي عياله على النحو المعروف . ولم يذع خبر قتله الا كخارجي ايضاً الأمر الذي ادركته السيدة زينب في الكوفة فأخذت تصرخ وتعرف الناس بهؤلاء السبايا الهاشميات وما كاد الناس يعرفون ذلك حتى ضجت الكوفة بالبكاء والنحيب وكادت تحدث الفتنة مرة ثانية ايضا لولا ان ابن زياد تداركها بصورة ما .

وحينما عرف العراقيون ان قتيلهم هو ابن بنت نبيهم وانه ليس خارجيا كما قيل لهم لم يستطيعوا صبراً على هذه المأساة والخديعة التي انطلت عليهم حيناً ، فهبوا بزعامة المختار الثقفي وابراهيم النخعي وقادوا الجيوش منادين : يالثارات الحسين ...

الامة حول البطولة لصد العدوان الاجنبي ضامناً لانتصار قوة الحق واندحار حق القوة .

ان كيان الامم وحريات الشعوب والمثل العليا كلها لا تقوم إلا حين يتجرد الانسان من ضعة المطامع الدنيا ، ويرتفع الى مراتب البطولة الحقه ، فيضحي في سبيل الحق حتى ينتصر او ينكسر في الدفاع عنه ، وهو في الحالين خالد لأن الاجيال التي تليه ستتابع مثاله في التضحية حتى يخرج الناس جميعاً من الظلمات الى النور .

ان انتصار الباطل بقوته لن يكون إلا موقوتاً اما انتصار البطولة الصادقة فيكون دائما لا يمحى فلنستهن بهذه الحياة الدنيا ان كنا للذكر حافظين .

بغداد — محمد صديق شنشل الحامي